المؤشرات والمعايير الثقافيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة في القرآن

صديقه بنازاده[1]

خديجه حسين زاده[2]

ملخّص المقال

(المقاومة الإسلاميّة) هي أحد التعاليم القرآنيّة التي تلعب دورًا حاسمًا في صيانة النظام الإسلاميّ وتثبيت أركانه. والمقاومة تكون مثمرةً عندما تتحوّل إلى خطاب في المجتمع الإسلاميّ؛ لهذا نجد القرآن الكريم يطرح مؤشرات وشواخص أخلاقيّة، وسياسيّة، واقتصاديّة، واعتقاديّة وثقافيّة لتحقيق خطاب المقاومة. ولمّا كان إضعاف الشواخص الثقافيّة يتيح للعدو الاقتراب من الخطوط العقديّة بما يعرّض النظام الإسلاميّ للصدمات، فإنّ مضمون بعض الآيات يشي بأنّ الشاخص الثقافيّ ينطوي على أهميّة ودور أكبر. تسعى الورقة الحالية بأسلوبٍ وصفيٍّ تحليليٍّ إلى شرح الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة من منظار القرآن الكريم. وقد توصّلنا في هذه الورقة إلى أنّ أهمّ المقومات الثقافيّة لخطاب المقاومة من منظار القرآن: التمحور حول الإسلام، تحقيق الاستقلال المقترن بالاعتزاز بالهوية الوطنية والوعي، تشكيل جبهة معادية للاستكبار، تأييد الشعب للقيادة، امتلاك القدوات، والمضي باتجاه وحدة العالم الإسلاميّ، ومن خلال تعزيز هذه المقوّمات يمكن المحافظة على الحدود العقديّة والأيديولوجيّة للنظام الإسلاميّ.

مفاتيح البحث: شواخص المقاومة، الشواخص الثقافيّة للمقاومة في القرآن، الاستقلال، تشكيل جبهة معادية للاستكبار، الاصطفاف خلف القيادة.

---

١. طالبة في الحوزة العلميّة، المستوى الثالث، فرع التفسير وعلوم القرآن, جامعة الزهراء (الكاتبة المسؤولة). البريد الإلكتروني: zare.a198198@gmail.com

٢. استاذ في مجمع بنت الهدى العالي، خريجة المرحلة الرابعة، فرع التفسير المقارن، باحثة في فرع التفسير، جامعة الزهراء. البريد الإلكتروني: Hosinzadeh110@gmail.com

مقدّمة

تلعب المقاومة دورًا حاسمًا في صيانة النظام الإسلاميّ وتثبيت أركانه، وعلى هذا الأساس جعل الله تبارك وتعالى (المقاومة) في القرآن الكريم من الضروريّات العقليّة للبشريّة[١] من جهة؛ لكي تجسّد المقاومة معنًى وموضوعيّة في الأذهان العامة للمجتمع، لا بدّ أن تتحوّل إلى إيمان وإلى مطلبٍ عام؛ ذلك لأنّ الخطاب في العصر الراهن مرادف للسلطة؛ لأنّ غلبة معنى ما وترسيخه هو من قبيل المنطق السياسيّ الذي يفضي إلى خلق إجماع.

ومن هذا المنطلق تضفي الأجهزة الأيديولوجيّة على الشواخص الثقافيّة لشعب ما، والتي تشكّل هويته، قيمة خاصة؛ لأنّ ما يدفع المجتمع إلى الحضيض والانهيار هو الأزمة الثقافيّة. من هذا المنطلق، فإنّ أحد الهواجس المهمّة لسماحة قائد الثورة﴿دام ظله﴾ في السنوات الأخيرة صناعة خطاب المقاومة الإسلاميّة.

من المعلوم أنّ الكشف عن الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة، يقلّل من حجم التأثّر واقتراب العدو من الحدود العقديّة إلى أدنى حدّ؛ ولذلك يحاول المقال الحالي بأسلوبٍ وصفيٍّ تحليليٍّ استعراض الشواخص الثقافيّة للخطاب القرآنيّ؛ ليتسنّى صيانة الحدود الثقافيّة والعقديّة والأيديولوجيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة عبر المعرفة الدقيقة لهذه الشواخص، كما حدّدها القرآن، وتمييز الحدود العقديّة لخطاب المقاومة عن خطاب الأصوليين السلفيين والحداثة الغربيّة.

لقد بحثت الكاتبتان في المواقع العلميّة في البلاد، فعثرتا على بعض المؤلّفات في هذا الحقل، كما سيأتيك لإظهار وجه تمايز هذا المقال ونقاط الابتكار والجدّة فيها.

الأوّل: كتاب "الشواخص الثقافيّة لخطاب الثقافة الإسلاميّة في الشرق الأوسط"، بقلم: أمير دبيري مهر، يبحث بالتفصيل في فصلين الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة، ولكن على الرغم من عنوان الكتاب، إلّا أنّ المضمون يتحدّث عن الشواخص السياسيّة للمقاومة.

الثاني: مقال "شواخص الخطاب الثقافيّ للمقاومة في العالم الإسلاميّ" بقلم: مهدى ناظمي

١. أنظر: هود: ١٢.

أردكاني، يتمايز هذا المقال عن مقالنا في أنّه يشرح الشواخص السياسيّة.. الثقافيّة لخطاب المقاومة في منطقة الشرق الأوسط، ويدور مدار تعريف الخطاب من وجهة نظر منظّرين، أعني الشريكين "لاكلو و موفه"، بينما نناقش في مقالنا من منظار قرآنيّ الشواخص الثقافيّة للمقاومة. في هذا المقال نحاول ابتداءً الإجابة عن السؤال: (ما الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة من منظار القرآن؟ وفي هذا السياق، نتناول - أوّلًا - شرح المفهوم، ثمّ نستعرض الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة.

تبيين المفهوم

أ- الشواخص الثقافيّة:

نظرًا لكون المصطلح مركّبًا، فإنّنا سنشرح مفهوم الشاخص ثمّ الثقافة؛ لنبيّن بشكلٍ أدقٍّ ماذا نعني بالشواخص الثقافيّة في هذا المقال.

أوّلًا: الشاخص

كلمة (شاخص) تعني (العين المفتوحة)، (حيران والعين مفتوحة)، (يحدّق).[١] وقد فسّر البعض الكلمة بمعنى (نتوء)، (بروز)، (ارتفاع)، (ما يدلّ حجمه على ماهيته)، (مؤشّر) و(ممثّل).[٢] أمّا المعنى الاصطلاحي للكلمة بحسب المجمع العلمي للأدب واللغة الفارسية فهو: أصغر خصوصية فريدة في شيء منحوت تميّزه عن سائر الأشياء المنحوتة.

ثانيًا: الثقافة

(الثقافة) في اللغة تعني (الارتقاء والتأدب)، (الوقار)، (التربية والتعليم).[٣] (العلم)، (الأدب

١.أنظر: دهخدا، فرهنگ لغت، ج٤، ص٢٢٧.

٢. أنظر: عميد، فرهنگ لغت، ص٧٦٩.

٣. أنظر: دهخدا، فرهنگ لغت، ج٣٤، ص٢٢٧.

السنة الثانية. العدد الثاني. ربيع - صيف. ٢٠٢١م/ ١٤٤٢ هـ

والمعرفة)، (الآثار العلميّة والأدبيّة لقوم أو شعب).[١] بعضهم عدّ الثقافة ظاهرة كليّة معقدة ومن العادات والتقاليد والفكر وأساليب العيش التي تتبلور عبر التجارب التاريخية للشعوب، وتنتقل إلى الأجيال اللاحقة.[٢] لا يوجد معنى جامع للمعنى الاصطلاحيّ للثقافة؛ وذلك لتباين الأنظار إلى مسألة الثقافة. فمنهم من يقول: إنّ ثقافة كلّ مجتمع أو شعب أو ثورة ... هي مجموع المكتسبات العقليّة لذلك المجتمع والتي تشمل العلم والأخلاق والسنن والتقاليد وما ينبثق عن هذه العناصر. بشكلٍ عامٍّ، فإنّ العقلية المسيطرة على المجتمع بالمعنى الأوسع هي ثقافة ذلك المجتمع، بغضّ النظر إن كانت تلك العقليّة نابعة من صميم ذلك المجتمع ومن نتاج تجاربه وأفكاره وخبراته، أم أنّها مستوردة من خارجه، ثمّ تغلغلت داخله وتلوّنت بلون المجتمع، وتأقلمت معه وتماهت فيه.[٣]

إذًا، بصورةٍ كليّةٍ يمكن القول: إنّ الثقافة مجموعة من المعارف والمعتقدات والفنون والصنائع والمهارات والأخلاق والقوانين والسنن والعادات والتقاليد والسلوكيات والضوابط التي يتعلّمها الفرد بصفته أحد أعضاء المجتمع، وتترتّب عليه وظائف والتزامات إزاء هذا المجتمع.[٤] المراد من (الثقافة) في أحاديث سماحة قائد الثورة الإسلاميّة معتقدات الشعب وإيمانه والعادات والتقاليد التي يمارسها والأشياء التي يتعاطى معها بشكلٍ دائمٍ في حياته اليوميّة، والتي تلهمه في حركاته وسكناته.[٥] في هذا المقال، ما نعنيه بكلمة (ثقافة) هو نفس التعريف الذي قدّمه سماحة قائد الثورة الإسلاميّة.

ب- الخطاب

أصل مفهوم الخطاب "Discourse" هو (الحركة السريعة في اتجاهات مختلفة).[٦] يمكن توضيح الخطاب ضمن عناوين مختلفة:

---

١. أنظر: عميد، فرهنگ لغت، ص٧٦٩.

٢. أنظر: انوري، فرهنگ لغت، ج٦، ص٥٣٤٦.

٣. مظفري، فرهنگ سياسى از نگاه مقام معظم رهبرى، ص٢.

٤. أنظر: صاحبي، مناسبات دين وفرهنگ در جامعه، ج١، ص٦٠.

٥. أنظر موقع قائد الثورة الإسلاميّة الإلكتروني، كلمة سماحته بتاريخ: ١٣٩٣/١/١.

٦. أنظر: عضدانلو، گفتمان و جامعه، ص٤.

الخطاب في اللغة يعني (المباحثة والمجادلة)، و(السريان والجريان)، (الأسلوب)، و(الحوار والتعامل)، و(العمل)، و(الرمز)، و(القوة)، و(سِتار العَرض)، و(القدرة وموهبة التفكير). طبعًا يعتقد البعض أنّه اسم مصدر بمعنى المباحثة والحوار.[١] والخطاب في الاصطلاح هو من أكثر المفردات استعمالًا وإثارة للخلاف في السنوات الأخيرة. وفي عصرنا الحاضر ترادف كلمة الخطاب السلطة. بدأ شيوع استعمال مصطلح الخطاب منذ عقدالستينات من القرن الماضي في حقول العلوم الإنسانية والفن والآداب.[٢] في الحقيقة، أنّ للخطاب، أي معتقدات الناس ومطاليبهم، مكانة وكذلك الخطابات في حقل السياسة الخارجية بوصفها ظاهرة بحثية في العلاقات الدولية. والخطابات تقوم باستدعاء الدوال العائمة[٣] من مجال الخطاب الانتقالي[٤] لكل بلد لتمفصلها[٥] حول دالة محورية، ومن ثمّ تبدّلها إلى دوال لحظية.[٦] وتضفي هوية على العلاقات الخارجية للدول من خلال خلق الغير والمنافس، حينئذ تتعرّف على خطابات الغير وتتبلور حالة المنافسة معها.[٧]

ذكر المنظّرون الغربيون عدّة معاني لمصطلح الخطاب، فمثلًا: يعتقد "ميشيل فوكو" أنّ الخطاب هو نقطة التقاء واجتماع السلطة والمعرفة. لكل فرع معرفيّ خاصّ في مرحلةٍ تاريخيّةٍ خاصّة مجموعة من القواعد والقوانين الإيجابيّة والسلبيّة التي تحدّد ما هي الأشياء التي يمكن الخوض فيها، وتلك التي تمتنع على البحث، هذه القواعد هي التي تخلق الموضوعات.[٨] وهكذا، فالخطاب من وجهة نظر الشريكين "لاكلو وموفه" (Laclau and Mouffe) مجموعة من العلائم والرموز المتمفصلة والمتواشجة، ويعتقدان أنّ تثبيت أيّ خطاب في أذهان عموم الناس يتطلّب بالضرورة وجود الغير[٩]

١. أنظر: انوري، فرهنگ لغت، ج٦، ص٦١٩٩.

٢.أنظر: اميني، گفتمان ادبيات در آستانه دو انقلاب، ص٣٥ ـ ٤٨.

3. Floating signifier.
4. Field of discursivit.
5. Articulation.
6. Moment.

٧. حسن نيا مقدم وآخرون، بررسی تطبيقی رقيب در خاورميانه؛ مطالعه موردی گفتمان های انقلاب اسلامی ايران، اخوانی سكولار تركيه و سلفی تكفيری عربستان، ص٢٣.

٨. أنظر: سليمی نوه، گفتمان در انديشه فوكو، ص٥٠ – ٥٣.

9. Other.

والضدّ[1]؛ لأنّ الخطابات في الحقيقة تتبلور عبر خلق هذه الغيرية[2]؛ حيث تعمل الغيريّة على أمرين رئيسيين في آنٍ معًا، الأوّل فهي من خلال زعزعة الدوال الثابتة للخطاب الآخر وخلق التحدّيات أمامه، تعرّضه لاحتمالات الانهيار والتلاشي. ومن جهة أخرى، تلعب هذه الغيرية دورًا حاسمًا في ترسيخ الخطاب واكتسابه الهوية، فضلًا عن تحوّل مطالبات فئة خاصّة من المجتمع في الهوية والنضال إلى تصوّر اجتماعي، وفي هذه الحالة يُطرح الخطاب كتجسيد للمطالبات العامّة، وهذه نتيجة كل خطاب.[3]

يقول سماحة قائد الثورة الإسلاميّة عن الخطاب: «**صناعة الخطاب ... هي لغرض تنمية الفكر الدينيّ والمعرفة الدينية في المتلقّي. فعندما ينمو الفكر الدينيّ ويتطوّر ويكون مقرونًا بالشعور بالمسؤوليّة والالتزام تكون ثمرته العمل، وهو الشيء الذي كان الأنبياء يسعون إليه**».[4] والمقصود بالخطاب هو هذا المصطلح الذي قصده سماحة قائد الثورة من اللفظ.

على هذا النحو تتحوّل عناصر الخطاب المنافس إلى دوال لحظيّة متمفصلة حول الدالة المحوريّة للخطاب الأوّل، فيقوم بإزاحة الخطابات المنافسة، ووفقًا لمنطق التفاوت، فإنّه يعمل على تفكيك سلسلة التكافؤ (Chain of equivalence) لمنافسيه وفي المقابل إبراز وتضخيم معانيه هو ودواله؛ ليقدّم قراءة جديدة لدوال الخطاب المنافس؛ ليكون فكره وعقيدته الصحيحة في نهاية المطاف موضع اتفاق المجتمع بمختلف مستوياته، فيسود تفكير هذا الخطاب.

ج- المقاومة الإسلاميّة

المقاومة على وزن مفاعلة ومشتقة من الفعل الثلاثي المجرّد (ق و م) وتعني: (القيام سوية)، (التضادّ مع أحد)، وكذلك (الصمود والثبات).[5] فعل هذه الكلمة في اللغة العربيّة له استعمال في

1. Antagonist.
2. Otherness.

٣. ناظمي اردكاني، مولفه هاى گفتمان فرهنگى مقاومت در خاورميانه، ص٦٨.

٤. أنظر: كلمة سماحته بتاريخ ٨٨/٩/٢٢.

٥. أنظر: دهخدا، فرهنگ لغت، ص١٨٨١١.

باب المفاعلة فقط؛ لأنّ الثبات والمقاومة تكون حين يهيمن طرف لأسباب معينة على طرف آخر، فيبدي هذا الأخير مقاومة إزاء هذه الهيمنة.[١]

يستفاد من اللفظ أنّ معنى المقاومة لا يقتصر على المواجهة في ساحة المعركة، بل يشمل أيّ نوع من المقاومة والثبات في وجه العوامل المخلّة بالتوازن. من ناحية، فإنّ المقاومة في ذاتها تتميّز بالديناميّة والحركة والإقدام؛ وبذلك فإنّها كتعريف للخطاب عبارة عن مجموعة من العلائم والدلالات التي تشكّل ضمن عملية معقدة نظامًا معنائيًّا خاصًّا.

والمقاومة الإسلاميّة هي أبعد من مجرّد كلمة أو مصطلح، طبعًا لم يأت القرآن الكريم على ذكر كلمة مقاومة صراحةً، وإنّما ذكر مرادفاتها مرارًا، فاستعمل مباحث مختلفة وموضوعية لشرح ثقافة المقاومة مثلًا الاستقامة (الشورى: ١٥ وهود: ١١٢)، والصبر (آل عمران: ٢٠٠)، وثبات القدم (البقرة: ٢٥٠؛ آل عمران: ١٤٧؛ والأنفال: ١١ و٤٥). وكلمة المقاومة هي بديل أو على الأقل، مرادفة للجهاد، ويمكن أن نستشف هذا الترادف من الآية الكريمة: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وجاهِدْهُمْ بِهِ جِهادًا كَبِيرًا**﴾،[٢] لقد طلب الله تعالى من نبيه الأكرمﷺ أن يثبت أمام الكفّار، وألّا يبدي مرونة.[٣] وأيّ مفهوم يمكن أن نستنبطه من آية الجهاد هذه غير مفهوم المقاومة؟ بل إنّها ثقافة المقاومة.[٤]

والمقاومة من وجهة نظر سماحة قائد الثورة الإسلاميّة هي أن يختار الإنسان طريقًا يعتقد أنّه الحقّ والطريق القويم، فيسير فيه ولا تستطيع الموانع عن صرفه عن المضيّ فيه أو إيقافه، هو ذا معنى المقاومة.

إذًا، المعنى الشامل للمقاومة هو أنّ المقصود بالاستقامة والصبر ليس سوى الاستمرار والصمود وحمل النفس على تحمّل الصعاب والمشاقّ والصمود بوجه العدو.[٥]

١. أنظر: مير باقرى،كيانى، بن مايه هاى ادبيات مقاومت در قرآن، ص٧١.
٢. فرقان: ٥٢.
٣. ابن عاشور، التحوير والتنوير، ص٧٣؛ الطبرسي، مجمع البيان، ص٢٧٣.
٤. يوسفى مقدم، جايگاه و اهداف مقاومت اسلامى از ديدگاه مفسران، ص٦٢.
٥. أنظر: زاهدى تير، امين ناجى، بررسى مفهوم مقاومت با رويكرد اجتماعى در آيات قرآن كريم، ص٢٢٢.

الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة في القرآن

لو وقفنا قليلًا عند مضامين آيات القرآن الكريم لوجدنا أنّ خطاب المقاومة الإسلاميّة (الإسلام السياسيّ الشيعيّ) هو الخطاب السائد في القرآن الكريم. وفي هذا السياق يستخرج المقال الحالي بعض الأمثلة من الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة من منظار القرآن وعلى النحو التالي:

١- الإسلام هو الهدف

الدالة المحوريّة في أيّ خطاب هي عمود الخيمة الذي يضمن بقاء ذلك الخطاب، وقد تمفصلت جميع الدوال العائمة في مجال الخطاب الانتقالي لتتحوّل إلى دوال لحظية.[١] «إنّ محورية الإسلام والتمسّك بالمعتقدات والأصول الدينية» هي النواة المركزية لخطاب المقاومة الإسلاميّة، وتدور جميع الشواخص الأخرى مدار هذه النواة. ولهذا الخطاب ركنان اثنان بالاستناد إلى القرآن الكريم: الإيمان الراسخ وتوظيف جميع القدرات المادية. ولكل ركن من ذينك الركنين تأثيره في صناعة خطاب المقاومة الإسلاميّة وترسيخ أسسه، والمبادرة إلى تحطيم الخطاب المنافس؛ ذلك أنّ الأصول والعقائدالإسلاميّة معايير لتعزيز معنى ومصداق تعميم مطالبات المقاومة الإسلاميّة ورأس حربة لتحدّي الخطاب المنافس – سواء كان خطاب الغرب وحداثته، أو الخطاب الأصولي-. يذكر القرآن الكريم أنّ الإيمان بربوبية الله تبارك وتعالى وحاكميّته والإيمان بالسنن والقضاء الإلهي، والالتفات إلى قدرة الله ووعوده، والإيمان بأحوال الأعداء في يوم القيامة والوعد الإلهي بهزيمتهم والثقة بتحقّق النصرة في ظلّ الإيمان كلّها من أسس محورية الإسلام الواردة في القرآن الكريم والتي سنأتي على شرحها مفصّلًا في السطور التالية:

أ- الإيمان بحاكمية الله وربوبيّته

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**فَلِذلِكَ فَادْعُ واسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وقُلْ**

١. حسن نيا مقدم، بررسی تطبیقی رقیب در خاورمیانه؛ مطالعه موردی گفتمان های انقلاب اسلامی ایران، اخوانی سکولار ترکیه و سلفی تکفیری عربستان، ص٣٤.

آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنا ورَبُّكُم ... ﴾.[١] في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيّه الكريمﷺ بالاستقامة، ثم يصرّح أنّ ربّ الناس جميعًا واحد، وليس لهم إله غير (الله) حتى يلتحق كلّ أناس بإلههم، ويتنازعوا على الأرباب، بل ربّ الجميع واحد، وصاحب جميع الشرائع واحد، وكل العباد مملوكين له، إله واحد يدبّر شؤون الجميع.[٢] ويقول - عزّ وجلّ - في موضع آخر من كتابه الكريم: ﴿**وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ واصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ**﴾،[٣] في هذه الآية الكريمة أيضًا يأمر تعالى نبيّه الكريمﷺ بالاستقامة وفي نفس الوقت يسلّيه على ما واجه من مشاق ومصائب ويعده بحسن العاقبة.[٤]

وبناءً عليه، فالإيمان بحاكمية الله تعالى وربوبيّته في ذروة المحن للثورة وصيانتها بمثابة قوة دفاعية وقفزة إلى الإمام؛ لأنّ الله تعالى في هذه الآيات من خلال تنضيد الألفاظ إلى جانب بعضها مع بعض يصنع عبارة ذات معنى مفادها أنّ الإيمان بربوبية الله تعالى تطيح بجميع الخطط والأيديولوجيات وبنى الخطاب المنافس، ويمكن بهذا الإيمان الوقوف بوجه أيّ خطاب أو قوة ومقاومتها؛ لذا فعمل الإنسان رهنٌ بإيمانه بحاكمية الله تعالى، فالاستقامة شرط النصر،[٥] والانفكاك والاتكاء على غيره يعني القبول بسلطة الطاغوت وهو ما يوجب الزوال والاستئصال واليأس.[٦]

ب- الإيمان بالمعاد والاهتمام بأحوال الأعداء في يوم القيامة

الإيمان بالقيامة وبالمعاد أحد المعتقدات الإسلاميّة ومن أصول الدين، ولولا المعاد لما تحقّقت

١. الشورى: ١٥.

٢. أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٣ .

٣. يونس: ١٠٩.

٤. أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٠، ص١٣٢.

٥. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٨، ص٤٠٠.

٦. أنظر الآيتين: (يوسف: ١٠٨) : ﴿**قُلْ هذِهِ سَبيلي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَني وسُبْحانَ اللهِ وما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ**﴾؛ (مريم: ٤٨): ﴿**وأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وأَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾.

العدالة الإلهية بشكل تام؛ لأنّه لا يسع الدنيا أن تحقّق هذه العدالة.[١] ويبيّن الله تعالى في آيات متعدّدة أحوال الكافرين في يوم القيامة: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾.[٢] ووفقًا للآية، فإنّ الله تعالى ينفي أوّلًا بلغة قاطعة الادّعاء الواهي لمنكري القيامة، لغة قاطعة وتوكيد ممزوج بالقسم يخبر عن الإيمان الراسخ لقائله، أي النبي الأكرمﷺ، ثمّ يستدلّ عليها بعبارة ﴿**وذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾؛ ذلك لأنّنا نعلم أنّ أهمّ شبهة لمنكري المعاد هي كيف للعظام النخرة التي تحوّلت إلى تراب أن تعود إلى الحياة من جديد، والآية أعلاه تقول: عندما يكون الأمر بيد الله القادر المتعالي فلن تكون هناك أيّ مشكلة؛ لأنّه تعالى خلقهم في البدء من العدم وإحياء الموتى عنده جلّ وعلا أسهل، وباعتقاد بعضٍ أنّ القسم في الآية (وَرَبِّي) تنطوي على إشارة لطيفة إلى أنّنا ما لم نؤمن بعقيدة المعاد، لن يكون لربوبية الله بالنسبة للإنسان أيّ مفهوم.[٣]

إلى جانب الآيات المذكورة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* ونَراهُ قَرِيبًا**﴾.[٤] وفي آية أخرى: ﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ* فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ *عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾.[٥] أي استقم على طريق عبودية الله، وتصبّر في جهاد النفس وفي ساحة الجهاد والحرب. ويقينًا أنّ الصبر هو الأساس والضمانة لتنفيذ جميع الخطط، وهو الزاد في طريق الدعوة والتبليغ والهداية؛ وفي القرآن الكريم تأكيدات عديدة على ذلك.[٦]

فالله تبارك وتعالى في هذه الآيات من خلال دعوة نبيّه الأكرمﷺ وبالتبع المسلمين إلى التزام الصبر والاستقامة وتذكّر أحوال المشركين والأعداء في يوم القيامة يريد أن يجعل من الإيمان بالمعاد شاخصًا مؤثّرًا في مواجهة الخطاب المنافس؛ ليزيح بهذه الطريقة الخطاب المنافس إلى

١. أنظر: محمدي، پاسخ به شبهات، ص٢٨.
٢. التغابن: ٧.
٣. أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٢٩٩.
٤. المعارج: ٥ – ٧.
٥. المدّثر: ٧ – ١٠.
٦. أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٢٥، ص٢١٦.

الهامش، ويبيّن له أنّ السبيل الوحيد للنجاة من مكر العدو وألاعيبه هو المقاومة والثبات. وعلى هذا الأساس يكون الإيمان بالمعاد أبرز شاخص ثقافيّ لخطاب المقاومة؛ لأنّه عامل موجّه وملهم لإنقاذ الأمّة الإسلاميّة من هيمنة الأعداء والمستكبرين.[١]

ج- الإيمان بالسنن والوعود الإلهيّة

تزخر آيات القرآن بتأكيدات الله تبارك وتعالى على ضرورة الإيمان بـ(سننه الثابتة) و(وعوده الحتميّة)، وتبيين علاقتها بالاستقامة والصبر في سبيل الله؛ فمثلًا يبيّن تعالى لنبيّه الأكرمﷺ في سورة القلم أوّلًا سنّة الإملاء والاستدراج، ثمّ يدعوه إلى الاستقامة؛ حيث يقول عزّ من قائل: ﴿**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾،[٢] في الحقيقة تنطوي الآية على نوع من التهديد والكناية من أنّ قدرة الله تعالى كافية لعذاب المكذّبين،[٣] ممّا يعني أنّ سنّة الاستدراج والإملاء وسائر السنن الإلهيّة الجارية هي نوع من طرح الحلول ومحاربة العدو وتحدّي الكفّار من قبل الله تعالى. وتستطرد الآيات الكريمة فيأمر الله تعالى نبيّه الأكرم| في الآية (٤٨) بقوله: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**﴾، فإنّ الله سيهلك الأعداء والكفار بقضائه وسنته التي لا تبديل لها، (**لِحُكْمِ رَبِّكَ**) هو حكمه النهائي بنصر المسلمين؛[٤] لذا فالله تعالى يبيّن أنّ السبيل لبلوغ هدف خطاب المقاومة والثبات بوجه الحملات الثقافيّة للكفار يمرّ عبر أيديولوجيّة النضال والكفاح، والإيمان بالسنن الإلهيّة والوعود الحتميّة، وهكذا يتحوّل خطاب المقاومة إلى حقيقة. وهو القوة المحرّكة للمجتمعات الإسلاميّة في جميع الأعصار من أجل الثبات على المطالبات العامة للمقاومة الإسلاميّة.

ثمّة في القرآن آيات كثيرة تدلّ على هذا المعنى، وأنّ النصر النهائي هو لأصحاب المقاومة. نعم، قد يقدّموا التضحيات على مذبح المقاومة لكنّهم في النهاية هم المنتصرون ولن يُهزموا.[٥] على سبيل

١. أنظر الآيات التالية: النساء:٨٧؛ سبأ:٣؛ آل عمران: ٩؛ الشورى: ١٨؛ الرعد: ٥.

٢. القلم: ٤٥ – ٤٤.

٣. أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٣٨٦.

٤. القلم: ٤٨.

٥. أنظر: القصص: ٥؛ محمد: ٧؛ الحج: ٤٠؛ الأنعام: ٣٤.

المثال يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿**اَم يُريدونَ كَيدًا* فَالَّذينَ كَفَروا هُمُ المَكيدون**﴾؛[١] يعتقد أولئك أنّهم يكيدون وينسجون المؤامرات ضدّ جبهة الحقّ والمقاومة، متناسين أنّهم يتآمرون على أنفسهم وفقًا لقوانين الطبيعة والسنن الإلهية؛[٢] إذن، كما نرى فالقرآن الكريم يبشّر الذين استقاموا في سبيل الله بحسن العاقبة.

د- الإيمان بالنصرة والظفر في ظلّ الإيمان

تتحقّق النصرة الإلهيّة في ظلّ الاستقامة والثبات على الهدف وخطاب المقاومة. ﴿**وَلا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.[٣] الآية الكريمة تحذّر المسلمين أوّلًا ألّا يضعفوا بسبب خسارتهم لمعركة، وألّا يحزنوا ولا ييأسوا من تحقيق النصر النهائي، فكما أنّ الأفراد الواعين ينعمون بالنصر، فإنّهم يتعلّمون الدروس من هزائمهم، ويفتّشون عن نقاط الضعف التي أدّت إلى هذه الهزيمة، ويعملون على إزاحتها ويعدّون أنفسهم للنصر النهائي.[٤]

يحثّ الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين، ويبثّ فيهم الحماس ليثبتوا في مواجهة الكفّار والمشركين ومقاتلتهم، ويعدّهم بالنصر والغلبة على أعدائهم؛ ولذلك يأمرهم سبحانه وتعالى ألّا يهنوا ولا يتهاونوا في مسألة الجهاد؛ لأنّ هذه من آثار الشجاعة والجرأة وثبات القدم وخاصة في ظلّ الوعد الإلهيّ بنصرة الذين آمنوا واليقين بحتمية هذا النصر والغلبة على الأعداء، وأنّ الوهن والضعف والتهاون من آثار الجبن ممّا يؤدّي إلى غلبة العدو.[٥]

النصرة معنى يجب أن يتبلور أوّلًا في أعماق الإنسان، فلو أنّنا انتصرنا في جميع الجبهات، ليس نصرةً لله بل نصرةً لأنفسنا، مثلًا: نسعى إلى الاستيلاء على منطقة ما، فنحن - إذًا - لم ننصر الله تعالى، وفي هذه الحالة لن ينجز الله وعده بنصرنا، وإذا فعل فهي عناية خاصّة من لدنه ولا علاقة

١. الطور: ٤٢.
٢. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ، ١٣٩٨/٠٣/١٤.
٣. آل عمران: ١٣٩.
٤. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٣، ص١٠٦.
٥. طيب: ٣٦٦/٣.

لذلك بنا، عندما وعد الله تعالى: ﴿**إِنْ تَنْصُروا الله يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ اَقْدامَكُم**﴾،[١] فمعنى هذا أن تفتحوا جبهة النصر؛ ليفتح الله عليكم، أن تعملوا في سبيل الله، وتمضوا قدمًا في سبيل الله، وتجاهدوا في سبيله، أي أن تفعلوا كلّ شيء في سبيل الله ... والخلاصة إذا هممنا جميعًا لنصرة الله، حينذاك سينجز الله وعده بلا أيّ إشكال، ولكن إذا كان ثمّة نقص أو قصور، فهو من عندنا، فإذا توهّمنا أنّنا نحقّق النصر، فهو ليس نصر إلهيّ أعني ليس في سبيل الله، وليس لبلوغ المقاصد الإلهيّة، المراد بالمقاصد الإلهيّة نصرة المظلومين والمحرومين، ورفعة أحكام الإسلام، ورفع الظلم عن المظلومين وقطع أيدي الظالمين، كلّ هذه الأعمال هي في سبيل الله، فهو عزّ وجلّ أمر بذلك وعلينا التنفيذ.[٢] فحيثما كان هذا الجهاد، كانت الهداية الإلهيّة أيضًا، فهذا الجهاد نابع من التضحية والفداء، والله تعالى لا يكلهم إلى أنفسهم ﴿**وَالَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا**﴾، حين يبرز جهاد العباد، فإنّ الله تعالى سيهديهم إلى الصراط المستقيم، بالإضافة إلى الهداية الإلهيّة، فإنّه سوف يمنّ عليهم بالنجاح والاعتلاء؛ حيث يقول جلّ وعلا: ﴿**وَاَن لَوِ استَقاموا عَلَى الطَّريقَةِ لَاَسقَينهُم ماءً غَدَقًا**﴾، (الماء الغدق) الارتواء من الماء الغزير والرائق؛ حيث يقول المفسّرون: إنّه كناية عن حلّ مشاكل الحياة، فلو تحمّل المؤمنون مشاق هذا المسير واستقاموا - أي لم ينحرفوا - وساروا على المحجّة، والصراط المستقيم، فيقينًا سوف تحلّ جميع مشاكلهم في الحياة، وتُرفع عنهم المضائق والشدائد ونقاط الضعف.[٣]

بناءً على ذلك، فالإيمان بالنصرة الإلهيّة المقرون بالعمل بالأحكام الإلهيّة يقتضي طرد اليأس من المجتمع الإسلاميّ وشحنه بالأمل والثقة بالنفس على مختلف مستويات المجتمع. في الحقيقة أنّ إحدى دوال خطاب المقاومة ثقة المجتمع الإسلاميّ بنفسه بالتمحور حول الإيمان بالله، ويمكن لهذه الدالة الوقوف بوجه الدوال المركزية لخطابات المنافسين، وأن تنافس المنافس وتزيحه في خطاب الأصوليّة السلفيّة الجديدة والخطاب النباتي للحداثة الغربيّة، وأن تتجذّر في أذهان

١. محمد: ٧.

٢. صحيفه نور، ج١٩، ص٢٠١.

٣. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٩٩/١١/٢٩.

الرأي العام على الصعيد الدوليّ. إحدى الدوال المركزية في خطاب المقاومة التمحور حول الإسلام ومعتقداته ومبادئه الأصيلة.

٢- نزعة الاستقلال

شاخص ثقافيّ آخر لخطاب المقاومة الإسلاميّة هو (نزعة الاستقلال)، يبيّن الله تعالى هذه النقطة في القرآن الكريم بقوله: ﴿**لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ* ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ**﴾،[١] وبهذا يكشف عن الانفصال التامّ للإسلام عن الكفّار والمشركين، ويأمر أتباعه بإعلان البراءة علنًا من دين الكفار حتى ييأسوا من مداهنتهم ومساومتهم.[٢]

وفي آيات أخرى (محمد: ٧) يمنيّهم بالنصرة بفضل ثبات قدمهم وصمودهم المقرون بالهوية والاستقلال من هيمنة القوى الكبرى في العالم، وهو يؤكّد على مسألة (ثبات القدم)؛ لأنّ الوقوف بوجه الأعداء يعدّ أهم أسرار النصر عليهم، والمنتصرون في الحروب هم الأكثر ثباتًا واستقامة.[٣]

يقول الشهيد مطهري في هذا الصدد: «**أمضى سلاح دفاعي لهذه الثورة وأشدّ تأثيرًا على نجاحها وتطوّرها هو (إيمان الشعب بقوته الذاتية) و(العودة إلى القيم الإسلاميّة الأصيلة)، فكلّ القوى العظمى تخشى صحوة المسلمين، فإذا نهض الشرق واكتشف الإسلام، فلن تؤثّر في هذه القوة العظيمة وفي هذه الجماهير العريضة**».[٤]

الاستقلال من منظار خطاب المقاومة الإسلاميّة هو أن يقرّر الشعب مصيره بنفسه، ولا يسمح للأجانب بالتدخّل المغرض، وإذا فقد الشعب استقلاله فقد معه عزّة نفسه ومصالحه أيضًا، وثمّة أمثلة كثيرة على هذا الموضوع من القرن التاسع عشر ومن القرن العشرين حين جاء المستعمرون الأوروبيون واستولوا على بلاد واسعة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، واستعبدوا شعوبها،

---

١. كافرون: ٣ - ٢.

٢. أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٣٧٣.

٣.أنظر: مكارم الشيرازي، القرآن الكريم، ترجمة: مكارم الشيرازي، ناصر، ص٤٢٥.

٤.أنظر: مطهري: ١٢٢.

وصادروا ثقافتها وهويّتها ولغتها وخطّها وتقاليدها ؛[١] لذا فإنّ سرّ صمود وتمايز أيّ خطاب يكمن في رفضه للهيمنة؛ لأنّها عار وشنار. في الحقيقة أنّ سيطرة المقاومة على عقول الناس تعزّز مطالبتهم بالاستقلال المقرون بالهوية الوطنية والإسلاميّة.

يقول سماحة قائد الثورة الإسلاميّة في شرحه للهوية الإسلاميّة: ﴿**فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ و يُؤمِن بِاللهِ فَقَدِ استَمسَک بِالعُروَةِ الوُثقی لَاانفِصامَ لَها**﴾، هذه معرفة، هذا مبدأ وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، أي إنّنا نقسّم عالم الوجود إلى قسمين: القسم الأول منطقة نفوذ الطاغوت، وينبغي لنا أن نكفر به. والقسم الثاني منطقة نفوذ الله ويجب أن نؤمن به، وأن نصدّقه. الهوية الإيمانيّة في مقابل هوية الكفر، ولكن دون أن يعني ذلك أن نحارب دائمًا كلّ من يحمل هوية الكفر، فهذا المبدأ لا يعني المقاتلة، ولا حتى عدم الارتباط، أو عدم تبادل المعلومات والبيانات، بل معناه استقلال الهوية الإيمانيّة وترسيم حدودها بشكل واضح؛ ليتمكن الإنسان من صيانة نفسه في مقابل هوية الطاغوت والكفر، وأن يحفظها ويستكملها ويتحرّك نحو التقدّم.[٢]

من هنا نتبيّن أنّ مؤشّر نزعة الاستقلال في خطاب المقاومة الإسلاميّة هو النقطة المقابلة للتبعية في خطاب الحداثة الغربيّة، كسراج ينير طريق الحركة، ويرسّخ دعائم الخطاب من الداخل. ومن ناحية أخرى يهاجم الخصم ويزيح الغير. في الخطاب المنافس - كالحداثة الغربيّة - نجد أنّ التبعية للقوى العظمى هي نقطة التحوّل في ذلك الخطاب. وهذا الأمر ليس له موضوعيّة في خطاب المقاومة الإسلاميّة والأفكار الإسلاميّة وهو يعدّ قيمة معادية أو نقيصة.

٣- طاعة قائد المجتمع

لا تختصّ طاعة الحاكم بالنظام الإسلاميّ وحده؛ إذ لا يمكن لأيّ حكومة أن تدوم من دون طاعة الحاكم، أمّا في النظام الإسلاميّ، فالحاكم يستمدّ مشروعيته من الله.[٣] وبالنسبة لخطاب

١. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٩٧/٧/١٤.

٢. أنظر: كلمة سماحته بتاريخ: ١٣٩٦/٢/٧.

٣. پور حسين، مبانى از اطاعت از حاكم در انديشه سياسى شيعه، ص١١٨.

الثورة الإسلاميّة، فإنّ مبدأ ولاية الفقيه يعدّ عمود خيمة الحكومة، وينبغي من الناحية العقليّة أن يحوز على جميع الصلاحيات وكليانية حدود الحكومة، وعلى النحو التالي: يجب مَفْصَلة جميع أجزاء الخطاب الأخرى للإسلام السياسيّ على هذا المحور الرئيسيّ وتحويلها إلى دوال لحظية.[١]

والحال أنّ القبول بالولاية وطاعة القائد في المجتمع الإسلاميّ علامة على معرفة إيمان الفرد، وأحد الشواخص الثقافيّة في خطاب المقاومة؛ لأنّ حكومة الولي المنصّب على المجتمع الإسلاميّ من قبل الله تعالى تبذل غاية وسعها وجهدها في إطار شريعة الحق لتطبيق أحكامها وتحقيق القيم الدينيّة وتفتيق مواهب أفراد المجتمع والارتقاء بهم نحو الكمال والتعالي اللائق بهم.[٢]

من هنا جاء في القرآن الكريم: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ولا تَوَلَّوْا عَنْهُ وأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾[٣] تشي نبرة الآية إلى أنّ بعض المؤمنين قد قصّروا في واجب الطاعة، وما من شكّ في أنّ طاعة أوامر الله واجبة على الجميع، مؤمنين كانوا أم كافرين، ولكن من حيث أنّ المؤمنين هم مخاطبو النبي الأكرمﷺ وأصحابه الذين يضطلعون بمسؤوليّة البرامج التربويّة والعقديّة، فيكون الخطاب موجّه إليهم.[٤] إذًا، فطاعة القائد واجبة ولازمة على الجميع وبالأخصّ المؤمنين.

﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾،[٥] عبارة (**أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ**) تمهيد للمطلب التالي، وطاعة رسول اللهﷺ هي في الحقيقة طاعة الله؛ لأنّ الله هو وحده الشارع، وهو الذي أوجب طاعته، وكذلك في هذه الآية: ﴿**وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ**

١. حسن نيا مقدم وآخرون، بررسى تطبيقى رقيب در خاورميانه؛ مطالعه موردى گفتمان هاى انقلاب اسلامى ايران، اخوانى سكولار تركيه و سلفى تكفيرى عربستان، ص٣٤.

٢. شفيعي، خلاصه تربيت و تعالى دينى (٢)، ص١٢.

٣. الأنفال: ٢٠

٤. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٧، ص١٢١.

٥. النساء: ٥٩.

اللهِ﴾،[١] وجوب طاعة الرسول منوطة بإذن الله، وتستمر الآية الكريمة، فتبيّن أنّ طاعة أولي الأمر في آرائهم وأقوالهم واجبة على الناس، كوجوب طاعة الرسولﷺ على الناس في آرائه وأقواله.

من هنا، فإنّ الحكم الذي يقرّره الله تعالى في هذه الآية يصبّ في مصلحة الأمة، ويجمع المسلمين، ويوحّدهم عند بروز أيّ اختلاف بينهم، ويحفظهم من التشتت في مختلف العصور، وهو أمر غير زائد عمّا موجود في الولاية المعهودة عند الأمم والمجتمعات.[٢] وعندما يريد الأعداء بثّ الفرقة والاختلاف بين فئات الناس، يبرز دور القائد هنا الذي يجسّد التآلف، ويحول دون تنازع الناس واختلافهم.[٣]

في النظام الإسلاميّ تكون النصرة الإلهيّة رهنًا بالثبات والاستقامة على طريق الهدف: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾،[٤] هنا واجه جيش طالوت امتحانًا عظيمًا، وهو المقاومة الشديدة للعطش، وكان هذا الامتحان ضروريًّا لهذا الجيش، خصوصًا في ضوء التاريخ السيء لبني إسرائيل في بعض الحروب؛ ذلك لأنّ نصر أيّ فئة يتوقّف على مدى انضباط تلك الفئة والتزامها وقوة إيمانها واستقامتها بوجه العدو، وطاعة أوامر الزعيم والقادة العسكريين؛[٥] لذا فعندما يراعي كلّ من الحاكم والمحكوم الحقوق المتبادلة، سوف ينتظم عالم كلّ منهما، ويخرجون من حالة الفوضى، ويستقرّ الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ «وعِزًّا لِدينِهِم»،[٦] أي في ذلك عزّ لفكرهم ولأيديولوجيتهم التي تحكم المجتمع.[٧]

إنّ أعظم الحقوق المتبادلة حقّ الحكومة على الناس، وحقّ الناس على الحكومة، وهي فريضة

١. النساء: ٦٤.
٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص ٣٩١ - ٣٩٤.
٣. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٧٦/٦/٥.
٤. البقرة: ٢٤٩.
٥. مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٢، ص٢٤٣.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٤.
٧. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٥٧/٢/٢٢.

إلهيّة فرضت على الجميع لكلّ الحقوق، وهذه الحقوق هي عامل انتظام وانسجام العلاقات بين الناس، وعزّة دينهم؛ لذا لن يرى الناس الصلاح والجدارة أبدًا ما لم تصلح حكومتهم، ولن تصلح الحكومات أبدًا ما لم تثبت جماهير الشعب وتستقم، وإذا كانت جماهير الشعب وفية لحقوق الحكومة، وفي المقابل الحكومة قادرة على الوفاء بالتزاماتها تجاه حقوق الشعب، حينئذ سيكون (الحقّ) مصانًا ومحترمًا في المجتمع، وسوف تتعزّز أركان الدين، وتظهر علائم العدل دون أيّ انحراف، وتكون السنن في مجاريها.[1]

إذًا، عرفنا أنّه استنادًا إلى الأحكام الإلهيّة، فإنّ طاعة القائد والحاكم الشرعي تؤدّي إلى وحدة الجماعة والطوائف الإسلاميّة وتكاتفها، وأنّ خطاب المقاومة الإسلاميّة في النزاعات الداخليّة والخارجيّة يستقطب الدوال اللحظيّة اللازمة؛ ليصبح هذا الخطاب هو السائد في المجتمعات الإسلاميّة، وليضع الخطاب العلمانيّ الليبراليّ الغربيّ أمام تحدٍّ كبير وانفكاك رئيسيّ، وفي الوقت نفسه يصيب العناصر الفكريّة للخطاب السلفيّ في مقتل.

٤- طلب الشهادة

أحد الشواخص القرآنيّة لخطاب المقاومة الإسلاميّة طلب الشهادة؛ ذلك لأنّ نشر ثقافة الجهاد والشهادة يزرع الرعب والفزع في قلوب الأعداء، ويؤيّسهم من النفوذ داخل حصون الإسلام. ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ**﴾،[2] وتبعًا لموضوع الصبر والاستقامة تتحدّث الآية التالية عن حياة الشهداء الخالدة والآصرة القوية التي تربط الشهادة بالاستقامة والصبر، فهي تشدّد على عدم تسمية الذين يموتون في سبيل الله، ويشربون من رحيق الشهادة أموات: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوات**﴾، ثم تعقّب وتؤكّد بأنّهم أحياء لكنّكم لا تدركون ذلك! ﴿**بَلْ أَحْياءٌ ولكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾. وجرت العادة أن تضمّ كل نهضة بين جنباتها فئة تؤثّر الراحة والدعة وتخشى المواجهة فتنسحب من المشهد، ولا تكتفي هذه الفئة بأنّها لا تفعل شيئًا، بل تسعى إلى تثبيط عزائم

١. المطهري، سيرى در نهج البلاغة، ج١، ص٢١٤.

٢. البقرة: ١٥٤.

الآخرين. بيد أنّ الإسلام من خلال رسم ملامح الشهادة في الآية أعلاه وآيات أخرى في القرآن يحاول أن يضيف عاملًا جديدًا غاية في الأهميّة إلى ساحة المبارزة بين الحقّ والباطل، عامل فعاليته أمضى من أيّ سلاح آخر، وتأثيره أعظم من باقي العوامل، يمكن لهذا العامل أن يهزم أخطر الأسلحة في عصرنا وأكثرها فتكًا.[١]

يقول سماحة قائد الثورة الإسلاميّة ﷾ في هذا الصدد: «**إذا ترسّخت ثقافة الشهادة في مجتمع ما، فإنّها ستشكّل النقطة المعاكسة لثقافة الفردانيّة الغربيّة المعاصرة التي تسخّر كلّ شيء لمصلحة الفرد، وتنظر إلى أيّ شيء من زاوية المصالح الفردية الضيّقة، وتضع ثمنًا نقديًّا له، وتلهث وراء المال، وتكنيز الثروات. نعم، هذه هي النقطة المعاكسة لثقافة الشهادة، ومعنى ﴿وَيؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم﴾ تعبير عن ثقافة الإيثاريّة، ثقافة التضحية من أجل مستقبل المجتمع ومصير الشعب، فإذا تمّ تعميم هذه الثقافة في أيّ بلد أو مجتمع، فلن يقف مانع في طريقه أبدًا، ولن يرجع إلى الوراء، بل يمضي إلى الأمام**».[٢]

ومن هذا يتبيّن لنا بأنّ الشهداء بشهادتهم، إلى جانب التدبير والبصيرة يوقظون النفوس التي تغطّ في سبات الغفلة، ويقظة النفوس الغافلة هي حركة إلى الإمام على طريق صناعة خطاب المقاومة الإسلاميّة؛ لأنّ ثقافة الجهاد وطلب الشهادة أمضى سلاح بيد الناس للمقاومة، فدماء شهداء كربلاء الذين جسّدوا قدوات الصبر والثبات، وكذلك شهداء عصر صدر الإسلام، كلّهم كانوا سلاحًا ماضيًا على طريق المقاومة الإسلاميّة، والمثال الموضوعي لذلك هو انتصار الدم على السيف؛ لأنّ دم الشهيد ينفخ روحًا جديدًا من العقلانيّة والمشروعيّة التامّة في جسد المجتمع الإسلاميّ، ويدفع إلى المطالبة بحقوق المجتمعات ضدّ خطاب الخصم، فبينما يعتقد الخطاب السلفي أنّ العمليات الاستشهاديّة (الانتحاريّة) تعدّ خيارًا لترسيخ هذا الخطاب، من حيث إنّ لا معنى لهذه العقيدة في خطاب الحداثة الغربيّ ومنه الليبراليّة الغربيّة؛ حيث يعتقد هذا الخطاب أنّ الدوال الدينيّة مثل الجهاد والاستقامة والإيثاريّة غير ذات معنى، وأنّ سيطرتهم هي في دعم المستعمرات الغربيّة.[٣]

---

١. أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج١، ص٥٢٧.

٢. كلمة سماحته بتاريخ: ٩٣/١١/٢٧.

٣. حاجي يوسفي، نشانه شناسى عمليات هاى انتحاريدر منازعات گفتمانى عراف و چالشهاى امنيتى آن بر جمهورى

يؤمن خطاب الإسلام السياسي (خطاب المقاومة الإسلاميّة) أنّ أسمى مصلحة هي على أساس الفكر المبدئي الحسن والقبح الذاتيين للأفعال، وأنّ الإنسان مختار في أفعاله، ويؤمن بصيانة بيضة الإسلام والنظام الإسلاميّ وحياة الأفراد.[1] بالنتيجة، عندما يمتلك خطاب المقاومة الإسلاميّة هذه الخصائص، فإنّه يقينًا سوف يبلغ غايته النهائيّة، أي تثبيت عناصر التمفصل في الخطاب وغلبتها.

٥- رفض الذلّ

عنصر آخر من العناصر الثقافيّة في خطاب المقاومة الإسلاميّة هو رفض الذلّ، فالله تبارك وتعالى جعل خير وصلاح المجتمع الإسلاميّ في طلب العزّة، وحرّم على المؤمنين القبول بأيّ هيمنة للكافرين والرضوخ للذل والهوان. ﴿**... لَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾،[2] وهذا وجه من الحكمة الإلهيّة؛ حيث لم يشأ سبحانه تسلّط الباطل على الحقّ، فطلب العزّة حقّ تطالب به كلّ فطرة إنسانيّة سليمة للبشريّة جمعاء. «فالإسلام ليس الدين الذي يقول إذا صفعك أحد على خدّك الأيمن فأعطه خدّك الأيسر، وليس الدين الذي يقول ما لله لله وما لقيصر لقيصر، وليس الدين الذي يفتقد لأيّ عقيدة اجتماعيّة مقدسة، ويهمل السعي للدفاع عنها أو نشرها. يقول "وِل ديورانت" في كتابه "قصّة الحضارة": ما من دين دعا أمّته إلى القوة والقدرة مثلما فعل الإسلام».[3]

إنّ الله تعالى ينهى في كتابه الكريم عن أيّ مسعى أو محاولة للتقارب مع الاستكبار أو التسوية أو الصلح معه؛ لأنّ ذلك يتعارض مع عزّة المسلمين، ناهيك عن أنّ هذه الحركة غير منتجة، ولا طائل من ورائها، فعقيدة الإسلام هي أنّ الاستكبار لن يتخلّى عن مواقفه، فالله تبارك وتعالى قد نهى المؤمنين عن مداهنة الأعداء أو تولّيهم أو الوثوق بهم، فقد قال عزّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ**

اسلامی ایران، ص٧٨.

١. حاجي يوسفي، نفس المصدر، ص٩٧ ـ ٩٨.

٢. النساء: ١٤١.

٣. المطهري، شهيد، ص٢٦ و١٩.

لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾،[١] وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ...**﴾،[٢] كما بيّن تعالى في هاتين الآيتين: ﴿**بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا**﴾؛[٣] لأنّ هدف المنافقين من قبول ولاية الكفار هو نيل العزّة، بينما العزّة كلّها لله، وأنّ قبول ولاية الكفّار لن تجلب العزة والرفعة أبدًا، فولاية الكفّار خواء من العزّة الحقيقيّة، والخسران المبين في الاتكاء إليها. تتضمّن هذه الآية الكريمة دعوة ضمنية لنيل العزّة الراسخة عند الله تعالى؛ ذلك لأنّ الإيمان بالعزّة والقدرة الإلهيّة المطلقة تحول دون النزوع نحو العزّة المزيفة والاقتدار الوهمي للكافرين. في الحقيقة أنّ ابتغاء المنافقين العزّة في ولاية الكافرين نوعٌ من النفاق السياسيّ النابع من نفاقهم العقديّ، ومدعاة للتبعية السياسيّة والروحيّة للأجانب ونقض للاستقلال في الميادين الدولية.[٤]

لقد أصبحت محاربة الاستكبار ورفض الذلّ من منظار الثورة الإسلاميّة وفي أوساط شعبنا بمثابة حركة منطقيّة لها ظهير علميّ، نهضة عقلانيّة، فعلى العكس ممّا يصوّره البعض من أنّها نهضة انفعالية وشعار أجوف، لا يستند إلى المنطق أو العقلانيّة، فإنّ نهضة الشعب الإيراني نهضة مستندة إلى العقلانيّة.[٥] لا ينبغي للحكومات الإسلاميّة أن تكرّس نفسها لخدمة أهداف الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية المعتدية؛ لأنّه لعار على بلد مسلم أن يصرّح رئيس الولايات المتحدة جهارًا قائلًا: «إنّنا ننظر إلى هذا البلد كبقرة حلوب»! نعم، ينظرون إلى هؤلاء كبقرة حلوب... الإسلام يعارض هذا الذلّ والمهانة؛ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَلِلهِ الْعِزَّةُ ولِرَسولِهِ ولِلْمُؤمِنِينَ**﴾.[٦] لو كانوا مؤمنين، لكانوا أعزّة، هذا الذلّ والمهانة دليل على عدم إيمانهم، فهم غير مؤمنين؛ لأنّهم يكذبون كما يكذب أسيادهم.[٧]

---

١. المائدة: ٥١.

٢. الممتحنة: ١.

٣. النساء: ١٣٨ و ١٣٩.

٤. هاشمي رفسنجاني وآخرون، فرهنگ قرآن، ج٤، ص١٠٩ – ١١٠.

٥. كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٩٤/٨/١٢.

٦. المنافقون: ٨ .

٧. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٩٧/١/٢٥.

ونتيجة لذلك، فإنّ رفض الذلّ ومقاومة الاستكبار تصنع عنصرًا مهمًّا في «صناعة خطاب المقاومة الإسلاميّة»، طبعًا المقاومة على نوعين، تارة تعني الثبات والصبر والتحمّل كما تجسّد في الانعطاف المقتدر للإمام الحسن المجتبىعليه السلام، وتارةً أخرى بمعنى الدفاع والجهاد، كما هو الحال مع ثورة الإمام الحسينعليه السلام ضدّ المستكبرين. وكيف كان، فإنّ التخاذل والتهاون والانهزاميّة والقبول بالذلّ هي النقطة المقابلة لخطاب المقاومة الإسلاميّة، ولأجل التحدّي وإزاحة الخطاب الغربيّ الليبراليّ والخطاب الأصوليّ السلفيّ الذي جعل القبول بالذلّ في صدر أعماله، فإنّه يتوجّب تقنين المقاومة الإسلاميّة على جميع مستويات المجتمع لتصبح عقيدة عامة لأفراد الشعب.

٦- عدم الخشية من العدو

عدم الخشية من العدو وتشكيل معادية للاستكبار أيضًا شاخصٌ مهمٌّ من شواخص خطاب المقاومة الإسلاميّة: ﴿**إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.[١] إذا دخلت قلب الإنسان خشية غير خشية الله، فتلك علامة على عدم اكتمال إيمانه وتغلغل وساوس الشيطان في أعماقه، فنحن نعلم بأنّ الله هو وحده الملجأ في عالم الوجود اللامتناهي، وهو فقط المؤثّر بالذات، ولا قدرة للآخرين أمام قدرته. فلو قارن المؤمنون وليّهم - أي الله تعالى - بوليّ المشركين والمنافقين وهو الشيطان لعلموا أنذ لا قدرة لهم ولا قوّة أمام قدرة الله وجبروته؛ ولذلك لا ينبغي لهم أن يُدخلوا في قلوبهم ذرّة خوف من هؤلاء؛ لتكون النتيجة حيثما وجد الإيمان وجدت الشجاعة والشهامة معه.[٢]

هناك شرطٌ مهمٌّ لإحداث تحوّل وهو عدم الخشية من العدو والعداوات، فالله تعالى يخاطب نبيّه الأكرمصلى الله عليه وآله قائلًا ﴿**وَتَخْشَى النّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَن تَخشاهُ**﴾. وعلى أيّ حال، فقد تثير أيّ خطوة إيجابيّة، وأيّ عمل مهمّ معارضة البعض، وماذا ننتظر من المعارض غير المعارضة؟ وفي عصرنا الراهن مع ظهور المجال الافتراضيّ أصبحت المعارضات في الأغلب حادة ومؤذية، وإذا تقرّر أن

١. آل عمران: ١٧٥.

٢. أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٣، ص١٧٩.

تنطلق نهضة مهمّة وصحيحة ومتقنة ومدروسة، فالمفروض عدم الالتفات إلى هذه المعارضات، كما لا ينبغي مجاملة العدو الأجنبي، فلكلّ نهضة سائرة في طريق الصلاح جبهة واسعة من الأعداء يتربّصون بها الدوائر، وكيف يصيبونها في مقتل، سواء على صعيد القوّة الصلبة أو القوة الناعمة، وقوتهم الناعمة هي التشويش على القرارات الخطيرة والسليمة والمنطقية المتّخذة في البلاد والتشكيك في جدواها عبر الدعاية الإعلاميّة الواسعة، والتأثير عليها وتوجيه ضربات قاصمة وإفشالها من خلال الإمبرطوريّة الإعلاميّة التي يسيطر عليها الصهاينة. يجب ألّا نخشى هؤلاء، يجب أن نتحرّك، وباعتقادي أنّ علينا فتح الطريق أمام مشاركة العناصر الشابة، فهؤلاء لا يخشون أحدًا، ولا يحسبون حسابًا لأحد. [طبعًا] مشاركة العناصر الشابة بالشكل الذي شرحناه سابقًا، أي بمعنى الاستفادة من فكر الشباب ومعنويات الشباب وروح الإقدام والجرأة لديهم، ولكن دون أن يعني ذلك إقصاء الطاقات غير الشابة، هذا هو الشرط ألّا يتمّ إقصاؤهم.[١]

٧- الاستعداد الثقافيّ والاجتماعيّ الشامل لمواجهة العدو

ليس شرطًا أن يكون سبيل الدفاع والمواجهة عسكريًّا دائمًا، طبعًا مع ضرورة تعزيز القدرات التسليحيّة العسكريّة. محاربة المستكبرين والقتال في سبيل الله من صفات المؤمنين، كما يبيّن الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفا**﴾،[٢] فهذه الآية تبيّن بشكل دقيق وواضح خطاب المقاومة؛ وذلك لأنّه تعالى يصف أهل الإيمان، من جهة بأنّهم أقوياء وأصحاب عقيدة قتالية. ومن جهة أخرى يقول عن الخطاب المقابل بأنّه ضعيف وجبان وذليل؛ وسبب هذا الضعف والعجز هو أنّ أنصار الطاغوت يسيرون في طريق الاستعمار والشهوات الزائلة التي تدمّر المجتمع بالضدّ من قانون الخلق، بينما يشعر أهل الإيمان بالسكينة والاستقرار لاستنادهم إلى القوى الروحية، التي تضمن لهم النصر وتمنحهم الثقة والقوة، على عكس غير المؤمنين الذين يستندون إلى متكأٍ رخوٍ وهشّ.[٣]

---

١. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ: ١٣٩٩/٣/١٤.

٢. النساء: ٧٦.

٣.أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٤، ص١٢.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ**﴾،[١] بحسب الآية الكريمة، فإنّ استعداد المسلمين بأقصى الدرجات يستلزم أن تكون الأمّة الإسلاميّة موحدة غير متفرّقة، فالوحدة هي نوع من القدرة والقوة؛ إذ لا يمكن للمسلمين هزيمة أعدائهم وهم متفرّقين؛ بالوحدة تتعزّز البنية الدفاعية للمسلمين في المجالات الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة والعقديّة وغير ذلك لدرجة تجعل العدو يخشاهم، فتفشل خططه وتنهار.[٢]

﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ وءَاخَرِينَ مِن دُونِهِم...**﴾؛[٣] لأنّه حكم عامّ لجميع المؤمنين أن يستعدّوا لمواجهة الكفّار، ويتجهّزوا بأتمّ التجهيزات التي يحتاجونها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا وبما يوازي ما عند الكفّار؛[٤] لأنّه خطاب عامّ للمؤمنين كافّة، وأمر بالإعداد والاستعداد أمام الكفّار مطلقًا، والمراد بالقوة أنواع الأسلحة والمعدات الحربية.[٥] من وجهة نظر المفسّرين، يُستشفّ من ذيل هذه الآية أنّه لتنفيذ الأمر العام الوارد فيها يجب على المسلمين توظيف قواهم الماديّة والمعنويّة كافّة، وتعبئة كلّ القوى الاقتصاديّة والثقافيّة والسياسيّة في هذا المجال.

فمعنى قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللهِ**﴾، أنّ استعدادكم وتجهّزكم يرهب العدو ويرعبه، لا رهبةً من أن تعتدوا عليه - فلستم أهل عدوان - بل رهبةً من صمودكم وثباتكم، وخشية أن يعجز عن الاعتداء عليكم. في عالم ما تزال كلمة الفصل، وللأسف للحِراب وقوة السلاح في العلاقات بين الشعوب والدول، في عالم يريد المتغطرسون بقبضاتهم الفولاذية الإمساك بمصائر الشعوب - في العالم

١. الأنفال: ٦٠.

٢. أنظر: قرائتي، تفسير نور، ج٣، ص٣٤٦.

٣. الأنفال: ٦٠.

٤. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص١١٤.

٥. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٥، ص٤٩٩؛ الآلوسي، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، ج١٥، ص١١٤.

الماديّ - فإنّ الشعب الذي يستطيع صيانة نفسه من هذه الشرور هو الذي يبرهن على استعداده للدفاع والمقاومة. لقد برهنت قواتنا المسلحة وجيش الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة الباسل على هذا الاستعداد. هذه هي العزّة، حقًّا أنّ هذه عزّ وفخر للبلاد، يجب علينا أن نحافظ على هذا المكتسب، يجب المحافظة على مكتسباتكم الماديّة والروحيّة، دينكم، إيمانكم، حوافزكم، تقواكم، عفتكم، وزهدكم، وعزمكم الراسخ في الدفاع والمقاومة طيلة فترة خدمتكم بل وطيلة حياتكم.[١]

في الحقيقة بالاستعداد التامّ في مواجهة الأعداء نرتقي بخطاب المقاومة إلى مراقي العزّة والعظمة؛ ليتمكّن من إقصاء خطاب الانحلال الليبراليّ والحداثة الغربيّة، ووضع خطاب الأصوليّة السلفيّة من الداخل أمام تحدّيات كثيرة، هذا الخطاب الذي يؤمن بأنّ طريق النجاة والخروج من النزاعات هو في العودة إلى السلف الصالح.

٨- الصبر والجَلَد

بعد أن يبيّن الله تعالى سيرة الأنبياء السالفين والأمم الماضية، وسرّ انتصارهم، يبلّغ نبيّه الأكرمﷺ أمره، أمرًا ذا مضمون عظيم، فهذه الآية قد شيّبت النبي كما قالﷺ: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ومَنْ تابَ مَعَكَ ولا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾،[٢] المقصود بالاستقامة في الآية الاستمرار على الإرشاد الدعوي والتبليغي، والكفاح والقتال في ميدان المعركة، وتطبيق تعاليم القرآن الكريم في أداء الواجبات. طبعًا بحسب الآية يجب تكون المقاومة بقصد تنفيذ الأمر الإلهيّ، فالله قد أمر النبي الأكرمﷺ والمسلمين أيضًا بالاستقامة والثبات.[٣]

﴿**وَاصْبِرْ وما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[٤] فالله تعالى في ﴿**وَاصْبِرْ**

١. أنظر: كلمة سماحة القائد بتاريخ ١٣٩٠/٠٨/١٩.

٢. هود: ١١٢.

٣. أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٥، ص٢١٢.

٤. النحل: ١٢٧.

وما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ...﴾ يأمر رسوله الأكرمﷺ بالصبر، ويبشّره بأنّ هذه القوة والقدرة التي امتلكها بالصبر والثبات واستطاع بواسطتها تحمّل الصعاب والشدائد في سبيل الله، هي من فضل الله عليه. نعم، إنّ أيّ أمر ممكن الطاعة والامتثال، إذا كانت لديه القدرة على الامتثال، والله تعالى بعد أن أمر بالصبر، ذكّر نبيّه الأكرمﷺ بأنّ قدرتك على الصبر وامتلاكك للحول والقوة كلّه من عند الله.[١]

بالإضافة إلى إبلاغ الله تعالى أمره، ودعوته إلى الصبر والثبات في محاربته الاستكبار. يقول في سورة الأعراف المباركة: ﴿**فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا**﴾،[٢] وفي آية أخرى يقول عزّ وجلّ: ﴿**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[٣] وعلى هذا، فإنّ أحد الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة وأحد سبل مواجهة المستكبرين التحلّي بالصبر والجَلَد، وقد ضمّن الله الصبر والثبات بركات جمّة لا يسع المقام هنا عدّها وشرحها.

الصبر من الأحكام القرآنيّة والنصرة الإلهيّة وهو بعد سرّ انتصار الحقّ على الباطل ومن المقوّمات المهمّة في صناعة خطاب المقاومة على مختلف مستويات وطبقات المجتمع الإسلاميّ، وأبعد من ذلك. بهذا الخطاب نستطيع أن نضع راديكالية الخطاب الغربي وتطرّف الخطاب السلفي أمام مأزق حقيقي ونحطّم العناصر والدوال اللحظية المتمفصلة داخل الخطاب، واستبدالها بالأفكار والقيم الإسلاميّة الأصيلة.

٩- الوحدة وتجنّب الفُرقة

تجنّب الفُرقة والاختلاف من الشواخص المهمّة في خطاب المقاومة الإسلاميّة. فالفُرقة والتشتّت على جميع المستويات هي من أهمّ المعضلات التي يعاني منها العالم الإسلاميّ.[٤] فحين يتعزّز خطاب المقاومة الإسلاميّة بعنصر مهم للغاية وهو وحدة الأمة الإسلاميّة، ووحدة جميع

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٧٥.
٢. الأعراف: ١٣٧.
٣. الأنفال: ٦٦
٤. الإمام الخميني، صحيفه نور، ج١، ص٣٧٤.

القوميات والطوائف في ظلّ راية الإسلام، فإنّه يحصّن نفسه في مقابل هجمة وهيمنة خطاب الحداثة الغربي وخطاب الإسلاميّين الأصوليين المتطرّفين؛ لأنّ وحدة المجتمع الإسلاميّ عبارة عن دفاع مدني بوجه أنواع الهجمات الفيزيقية والنفسيّة للخطاب المنافس، والمقاومة والثبات دون قيادة ووحدة أمر متعذّر.

من هذا المنطلق يقول تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾؛[١] حيث يبيّن عزّ وجلّ أنّ الوحدة والمحبة بين المؤمنين هي قبسٌ من العزة والنعمة الإلهيّة، منّ بها على الناس وعلى النبي الأكرمﷺ.[٢]

يبيّن الله تعالى بأنّ الوحدة والوئام والتضامن بين المؤمنين هو السبيل الوحيد لجميع الانشقاقات والاختلافات ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا**﴾،[٣] فالآية الكريمة تطرح موضوع «الوحدة وتجنّب أيّ فُرقة وتشتّت»، ولكن ما المقصود (بحبل الله)، لقد ذهب المفسّرون مذاهب عديدة في تفسير المقصود من هذه الكلمة، فمنهم من قال: إنّ المقصود هو القرآن الكريم، ومنهم من قال: إنّه الإسلام، وفريق ثالث قال: إنّها آل النبي الأكرمﷺ والأئمة المعصومونعليهم السلام، غير أنّ المفهوم الأوسع لـ(الارتباط بالله) المستفاد من (بِحَبْلِ اللهِ) هو الجمع.[٤]

في الحقيقة تعتبر الوحدة والتضامن الوطني والإسلاميّ من المفاهيم والدوال المحورية للإمام الخمينيقدس سره؛ حيث كان يؤكّد على هذا المفهوم دائمًا من خلال مقاربة استراتيجيّة ومنطقيّة. فمن وجهة نظرهقدس سره أنّ جذور الوحدة تعود إلى التوحيد والوحدانيّة؛ لأنّ فكرة الوحدة عند الإمام نابعة من أنّ الفُرقة في الأمة الإسلاميّة قد أفرزت نتائج مذلّة ومخزية ربّما لن يتسنّى إصلاحها مطلقًا؛ وذلك لهيمنة الأجانب على مقدرات المسلمين، وأنّ المجتمعات الإسلاميّة قد انهارت تحت نير

١. الأنفال: ٦٣.

٢. أنظر: قرائتي، تفسير نور، ج٣، ص٣٥٠.

٣. آل عمران: ١٠٣.

٤. أنظر: مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، ج٣، ص٢٩.

سلطة الاستعمار، وفقد المسلمون شخصيتهم وشرفهم الإنسانيّ، وتراجعوا في جميع الميادين.[١]

إنّ لوحدة العالم الإسلاميّ درجات ومراتب من وجهة نظر سماحة قائد الثورة الإسلاميّة، أدناها مرتبة أن تعتدي المجتمعات الإسلاميّة والبلدان الإسلاميّة والحكومات الإسلاميّة والطوائف الإسلاميّة والمذاهب الإسلاميّة بعضها على بعض، ويختلفوا فيما بينهم، ويؤذي بعضهم بعضًا، هذه الخطوة الأولى. وطبعًا في المراتب الأعلى هي ألّا يعتدي العالم الإسلاميّ بعضه على بعض، وأن يتكاتفوا ويضعوا أيديهم في أيدي بعض لمواجهة عدوهم المشترك، وأن يتّحدوا اتّحادًا واقعيًّا وتامًّا، ويدافع بعضهم عن بعض. هذه هي درجة أعلى، وأعلى منها أن تتعاون البلدان الإسلاميّة والشعوب الإسلاميّة فيما بينها، فالبلدان الإسلاميّة ليست بمستوى واحد من امتلاك العلم والثروات الطبيعية، والأمن والاستقرار، والقوة السياسيّة؛ لذا بالإمكان أن يساعد بعضهم بعضًا، أولئك الذين يتبؤون موقعًا أفضل في أيّ ميدان يمدّوا يد المساعدة للذين في موقع أدنى، هذه أيضًا درجة أخرى من الوحدة. أمّا الدرجة الأعلى على الإطلاق، فهي أن يتّحد العالم الإسلاميّ للوصول إلى الهدف الرئيسيّ، وهو الحضارة الإسلاميّة الجديدة، وهو الهدف النهائي الذي تسعى لبلوغه الجمهورية الإسلاميّة في إيران: الوصول إلى الحضارة الإسلاميّة، حضارة تتناسب مع هذا العصر، حضارة إسلاميّة جديدة. هذه هي درجات الوحدة.[٢]

إذًا، فالله تعالى بتأليفه قلوب المؤمنين وتوحيدهم قد أوجد سدًّا دفاعيًّا بوجه مؤامرات الأعداء، كما أنّ تجنّب الفُرقة والاختلاف في أمّة الإسلام - طبقًا للآية الكريمة - هو عاملٌ مهمٌّ في حفظ وترسيخ خطاب المقاومة، سواء أكان في حالة القتال والحرب، أم في حالة الدفاع وردّ العدوان، ويمكن لخطاب المقاومة بمعناه الحقيقيّ أن يقف بوجه الخطابات المنافسة والمعادية عندما يكون قادرًا على تقديم تعريف جديد للوحدة الإسلاميّة بين طبقات المجتمع كافّة مبنيّ على المعطيات القرآنيّة والتأكيد على التباينات والتنوّعات الموجودة في عناصره الفكريّة والأيديولوجيّة وتمايزه عن سائر الخطابات المنافسة وإقصاء دوالها، وأن يثبّت المعنى الصحيح في أذهان الرأي العامّ،

١. بهزادي ٤.

٢.أنظر: كلمة سماحته بتاريخ: ١٣٩٨/٨/٢٤.

وحينئذ يستطيع هذا الخطاب القضاء على مقولة فرّق تسد، وتهميش خطاب العودة إلى السلف الصالح المبني على التطرّف والعنف، وبذلك سوف يقدّم خدمة جليلة على طريق إعادة الوحدة لتغليب خطاب المقاومة الإسلاميّة.

نتيجة البحث

يضمّ خطاب المقاومة الإسلاميّة شواخص مختلفة، ينطوي كل منها على أهمية خاصة، طبعًا الشواخص الثقافيّة للخطاب تشكّل القاعدة التحتية الأصليّة للخطاب؛ لأنّنا من خلال تعزيز كلّ من الشواخص الثقافيّة لخطاب المقاومة والتعريف بها وشرحها، سوف نتمكّن من صيانة الخطوط العقديّة والأيديولوجيّة للنظام الإسلاميّ، تتنوّع شواخص خطاب المقاومة وتتعدّد، فهي تتألف من: محوريّة الإسلام، وتمثّل النواة المركزيّة لخطاب المقاومة، وتدور جميع الشواخص الأخرى حول هذا المحور بمعناه الحقيقيّ؛ ذلك لأنّ الأصول والعقائدالإسلاميّة بمثابة معايير لتعزيز معنى ومصداق تعميم مطالبات المقاومة الإسلاميّة، وتكون المطالبة بالاستقلال والعزة رأس الحربة في تحدّي الخطاب المنافس، سواء أكان خطاب الغرب وحداثته، أو الخطاب الأصوليّ، ولتثبيت وتمييز أيّ خطاب من الحريّ به أن يعتبر القبول بهيمنة الآخر عار وشنار، وأن يكون مستقلًّا عن الشرق والغرب، ويحمل (هوية وطنيّة ودينيّة)، ولأجل عزّة خطاب المقاومة ونفوذه، فإنّ عنصر (المطالبة بالعزّة) واجب وضروريّ، كما أنّ طلب الشهادة وطاعة القائد الدينيّ - ولاية الفقيه المطلقة - يعزّز الخطاب ويزيد من تأثيره، في حين أنّ شواخص الصبر والوحدة وتجنّب الفُرقة هي في الحقيقة حلول وآليات توصل خطاب المقاومة الإسلاميّة إلى هدفه النهائيّ.

المصادر

الكتب

القرآن الكريم، ترجمة: مكارم الشيرازي، ناصر، مطالعات معارف اسلامى، قم، ١٣٧١، الطبعة الثانية.

١. ابن عاشور، محمد طاهر، ***التحوير والتنوير***، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠، الطبعة الأولى.

٢. الآلوسي، محمد بن عبد الله، ***روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم***، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ ه، الطبعة الأولى.

٣. الإمام الخميني، السيد روح الله، ***صحيفه نور***، مركز الوثائق الثقافيّة للثورة الإسلاميّة، ١٣٦١.

٤. أميني، على أكبر، ***گفتمان ادبيات در آستانه دو انقلاب***، اطلاعات، طهران، ١٣٩٠، الطبعة الثانية.

٥. أنوري، حسن، ***فرهنگ لغت*** ، منشورات سخن، طهران، ١٣٨٢، الطبعة الثانية.

٦. بشير، حسين، ***فرهنگ هويت***، نشر فرهنگ اسلامى، طهران، ١٣٩٠، الطبعة الأولى.

٧. خوش نظر، محمود، ***وظيفه هر مسلمان در برابر امام و رهبر اسلامى***، بوستان كتاب، قم، ١٣٠٣، الطبعة الأولى.

٨. دبيري مهر، امير، ***مؤلفه هاى فرهنگى گفتمان مقاومت اسلامى در خاورميانه***، معهد أبحاث باقر العلوم، قم، ١٣٩٢، الطبعة الأولى.

٩. دهخدا، على أكبر، ***فرهنگ لغت***، الطبعة افست گلشن، طهران، ١٣٤١.

١٠. زهيري، على رضا، **جمهورى اسلامى و مسئله هويت دينى**، أكاديمية العلوم والثقافة الإسلاميّة، قم، ١٣٨٩.

١١. سليماني پور لک، فاطمة، ***قدرت نرم در استراتژى خاورميانه آمريكا***، معهد الدراسات الاستراتيجيّة، طهران، ١٣٨٩.

١٢. شفيعي، أحمد وآخرون، ***خلاصه تربيت و تعالى دينى (٢)***، زمزم هدايت، قم، ١٣٩٩، الطبعة الأولى.

١٣. صاحبي، محمد جواد، ***مناسبات دين وفرهنگ در جامعه***، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٣٨٤، الطبعة الأولى.

١٤. الطباطبائي، السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، لبنان،

١٣٩٠، الطبعة الثانية.

١٥. الطبرسي، الفضل بن حسن، ***مجمع البيان في تفسير القرآن***، ناصر خسرو، طهران، ١٣٧٢، الطبعة الثالثة.

١٦. طيب، عبد الحسين، ***أطيب البيان في تفسير القرآن***، إسلام، طهران، ١٣٦٩، الطبعة الثانية.

١٧. عضدانلو، حميد، ***گفتمان و جامعه***، نشر ني، طهران، ١٣٨٠.

١٨. عميد، حسن، ***فرهنگ لغت***، أمير كبير، طهران، ١٣٤٢، الطبعة الأولى.

١٩. عيسى نيا، رضا، ***انقلاب و مقاومت اسلامى در سيره امام خمينى***قدس سره، نشر عروج، قم، ١٣٨٦ الطبعة الأولى.

٢٠. غلامي، نجف علي، ***دشمن شناسى (بررسى انديشه هاى رهبر معظم انقلاب)***، مؤسسة ولاء منتظر الثقافيّة، قم، ١٣٩٠، الطبعة الأولى.

٢١. الفخر الرازي، محمد بن عمر، ***التفسير الكبير***، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠، الطبعة الثالثة.

٢٢. فرقاني، قدرت الله، ***استكبار ستيزى در قرآن***، الطبعة ٢، قم، مؤسسة القرآن والعترة.

٢٣. قرائتي ، محسن، ***تفسير نور***، مركز دروس من القرآن الثقافيّ، قم، ١٣٨٣، الطبعة الأولى.

٢٤. محمدي، رضا، ***پاسخ به شبهات***، زمزم هدايت، قم، ١٣٨٨، الطبعة الثانية.

٢٥. مصباح يزدي، محمد تقي، ***جنگ وجهاد در قرآن***، مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم والبحوث، ١٣٨٣.

٢٦. مطهري، مرتضى، ***پيرامون انقلاب اسلامى***، منشورات صدرا، طهران، (بدون تاريخ).

٢٧. ـــــــــ ***جهاد***، منشورات صدرا، طهران، ١٣٦٨.

٢٨. ـــــــــ ***خدمات متقابل ايران واسلام***، منشورات صدرا، طهران، ١٣٧٢.

٢٩. ـــــــــ ***سيرى در نهج البلاغة***، منشورات صدرا، قم، ١٣٦٦، الطبعة الثانية.

٣٠. ـــــــــ ***شهيد***، منشورات صدرا، قم، ١٣٨١.

٣١. مكارم الشيرازي، ناصر ونخبة من المؤلفين، ***تفسير نمونه***، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٧١، الطبعة العاشرة.

٣٢. نگارش، حميد، ***هويت دينى وانقطاع فرهنگى***، ممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة، ١٣٨٠.

٣٣. هاشمي رفسنجاني، على أكبر وآخرون، ***فرهنگ قرآن***، منشورات مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٨٦.

المقالات

٣٤. إبراهيمي، نبي الله، *«گفتمان اسلام سلفی و جهانی شدن امنیت خاورمیانه»*، مجلة مطالعات راهبردی، العدد ٤، ١٣٨٩، ص١٧٥ ـ ١٩٣.

٣٥. پور حسين، احسان، *«مبانی از اطاعت از حاکم در اندیشه سیاسی شیعه»*، مجله علوم سياسی، العدد ٤٢، ١٣٨٧، ص١١٧ – ١٤٢.

٣٦. حاجي يوسفي، أمير محمد، عارف نجاد، أبو القاسم، *«نشانه شناسی عملیات های انتحاریدر منازعات گفتمانی عراف و چالشهای امنیتی آن بر جمهوری اسلامی ایران»*، معهد دراسات العلوم السياسية، العدد ٣، ١٣٩٢، ص٧٥ ـ ١١٠.

٣٧. حسن نيا مقدم، السيد عباس وآخرون، *«بررسی تطبیقی رقیب در خاورمیانه؛ مطالعه موردی گفتمان های انقلاب اسلامی ایران، اخوانی سکولا ر ترکیه و سلفی تکفیری عربستان»*، فصلنامه مطالعات بين الملل، العدد ٦٣، ص٢٣ – ٥٢.

٣٨. رستمي نسب،عباس علي، *«بررسی جایگاه جهاد به عنوان یکی از مبانی دفاع مقدس در قرآن کریم»* ، نشريه ادبيات پايداری، العدد ١٣، خريف وشتاء ٩٤، ص٩٤ ـ ١١٤.

٣٩. زاهدي تير، أصغر؛ أمين ناجي (محمد هادي)، *«بررسی مفهوم مقاومت با رویکرد اجتماعی در آیات قرآن کریم»*، نشريه علمی مطالعات تفسيری، العدد ٣٨، صيف ٩٨، ص٢٢١ ـ ٢٣٦.

٤٠.سليمي نوه، اصغر، *«گفتمان در اندیشه فوکو»*، كيهان فرهنگی، العدد ٢١٩، كانون الثاني ٢٠٠٩ م، ص٥٠ـ٥٥.

٤١. كياني، حسين، مير باقري، سيد فضل الله؛ *«بن مایه های ادبیات مقاومت در قرآن»*، فصلنامه ادبيات ديني، السنة الأولى، العدد ١، ١٣٩١، ص٦٩ ـ ٩٧.

٤٢. محمدي، محمود، *«اسلام گرایی، گفتمان مقاومت»*، جامع شناسی تاريخی، السنة الخامسة، العدد ٢، ١٣٩٢، ص٧١ ـ ٩١.

٤٣. مظفری، آيت، *«فرهنگ سیاسی از نگاه مقام معظم رهبری»*، مجلة حصون، العدد ٧، ١٣٨٥.

٤٤. ناظمي اردكاني، مهدي، *«مؤلفه های گفتمان فرهنگی مقاومت در خاورمیانه»*، فصل نامه

مطالعات سياسى جهان اسلام، العدد ٢ التسلسل ٢٦، ١٣٩٧، ص٥٩ ـ ٨٦.

٤٥. يوسفى مقدم، محمد صادق، ***«جايگاه و اهداف مقاومت اسلامى از ديدگاه مفسران»***، مجلة علوم سياسى، العدد ٩١، ١٣٩٩، ص٥٩ ـ ٧٤.

المواقع الإلكترونية

٤٦. الخامنئي، السيد علي، تصريحاته وخطبه في: ***الموقع المعلوماتي لمكتب حفظ ونشر آثار آية الله العظمى الخامنئي***، khamenei.ir.